الآفة التاسعة عشرة
التسويف

والآفة التاسعة عشرة التى تصيب نفرًا من العاملين ، بل لا يكاد يسلم منها إلا أصحاب الهمم العالية، والإرادات القوية والعزائم الصادقة، إنما هى: « التسويف ».

وحتى يتخلص منها من أصيبوا بها ، ويتقيها، ويتجنبها من سلمهم الله ـ عز وجل ـ منها ، فإننا سنعرض لها بإذن الله من الجوانب التالية :

أولا : تعريف التسويف :

لغة : التسويف لغة يطلق على معان عدة ، نذكر منها :

أ ـ التأخير والمماطلة ، يقال : سوف يسوف تسويفًا أخر ، وماطل ، يؤخر ، ويماطل ، تأخيرًا ، ومماطلة ، وسوف حرف يدخل على الفعل المضارع ، فيخصصه للاستقبال ودلالته التأخير ، يقال : سوف أسافر .

ب ـ والتهويل ، يقال : سوَّف الأمر تسويفًا تعنى هوَّله وضخم من شأنه، ومنه قوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٦٧) ﴾ [الأنعام] ، ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٣) ﴾ [الحجر] .

جـ ـ والوعد ، يقال :سوَّف بالحسنة تسويفًا يعنى وعد بها مستقبلا ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤) ﴾ [النساء] ، ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (١٤٦) ﴾ [النساء] .

د ـ والوعيد ، يقال : سوَّفَ بالسيئة تسويفًا ، يعنى توعَّد بها مستقبلا ، ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا (٨٧) ﴾ [الكهف] ، ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) ﴾ [مريم] [(١)] .

---

(١) انظر : الصحاح فى اللغة والعلوم ص ٥١٦ ، والمعجم الوجيز ص ٣٢٩ ، وبصائر ذوى التمييز ٣/ ٣٧٨ .

وعندى أنه لا تعارض بين هذه المعانى جميعًا ، إذ هى وعدًا ، أو وعيدًا أو تهويلا إنما ترد إلى معنى التأخير أو التأجيل والمماطلة .

اصطلاحًا : أما معنى التسويف اصطلاحًا ، فهو المماطلة أو التأجيل على سبيل التهويل ، والتضخيم لتنفيذ المطلوب وعدًا كان أو وعيدًا .

ثانيًا : وضع التسويف فى ميزان الإسلام مع بعض ما يدل عليه من سمات ومظاهر:

والتسويف بهذا المعنى ليس مذمومًا كله وليس محمودًا كله، بل منه ما هو مذموم، ومنه ما هو محمود .

فأما المذموم : فهو التأجيل أو التأخير لتنفيذ المطلوب بغير مبرر أو مقتضى ، وهو الذى نبه إليه الحق ـ تبارك وتعالى ـ بقوله : ﴿ **وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴿١٠﴾** ﴾ [المنافقون] ، ﴿**حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ** ﴾ [المؤمنون] ، ﴿ **كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾** ﴾ [الفجر] ، ﴿ **وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾** ﴾ [الزمر] .

كما نبه إليه النبى ﷺ بقوله : « بادروا بالأعمال الصالحة سبعًا : هل تنتظرون إلا فقرًا منسيًا، أو غنى مطغيًا، أو مرضًا مفسدًا ، أو هرمًا مفندًا ، أو موتًا مجهزًا،أو الدجال فشرٌ غائب ينتظر،أو الساعة فالساعة أدهى وأمر »(١) ، « اغتنم خمسًا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك »(٢) .

وأما المحمود : فهو التهويل أو الوعد والوعيد ، دفعًا لفعل خير ، أو ترك شرٍّ، أو ترقبًا وانتظارًا للحظة مناسبة، وفرصة مواتية ، ويدلنا على حسن هذا النوع من التسويف وروده فى كلام الحق ـ تبارك وتعالى ـ فى كتابه الكريم ، إذ يقول سبحانه : ﴿ **وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا** ﴾ [النساء : ٣٠] ، ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا**

(١) الحديث سبق تخريجه ص ٨٤ .
(٢) الحديث سبق تخريجه ص ٨٣ .

سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا ﴾ [النساء : ٥٦] ، ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (١٤٦) ﴾ [النساء] ، ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة : ٥٤] ، ﴿ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) ﴾ [الأعراف] ، ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) ﴾ [التكاثر] .

كما يدلنا على حسن هذا النوع من التسويف ، وروده على لسان بعض الأنبياء كما حكى القرآن الكريم :

فقد طلب أولاد يعقوب من أبيهم أن يعفو عنهم وأن يستغفر لهم ربهم ، بعد أن أدركوا خطأهم الذى وقعوا فيه بشأن يوسف عليه السلام قائلين : ﴿ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧) ﴾ [يوسف] ، فردَّ عليهم قائلا : ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٩٨) ﴾ [يوسف].

ونصح نوح قومه ، فلما أعرضوا وكذبوا ، توعدَّهم قائلا : ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴾ [هود : ٣٩] ، ومثل ذلك صنع شعيب عليه السلام ، فقال : ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ ﴾ [هود : ٩٣] .

وأمَّا السمات أو المظاهر الدالة على التسويف فكثيرة نذكر منها :

١ ـ البقاء على المعصية مع الوعد بالتوبة بأن يقول العاصى: سوف أتوب، أو سأتوب ، أو غدًا أتوب ، وهكذا .

٢ ـ تأجيل عمل اليوم إلى الغد بغير مبرر، ولا مقتضى، بأن يقول المسلم : غدًا أفعل كذا ، أو أنفذ كذا مما يلزم أن يكون فعله أو تنفيذه توًا ، وحالا ، ولا يفعل ، ولا ينفذ. ومثاله من الواقع أن يكلف محاضر أو مربٍّ بالتحضير لموضوع ما قبله بوقت كاف ، ويظل يؤخره ويؤخره حتى يدخل عليه الوقت ، وما صنع شيئًا ، أو صنع شيئًا ولكنه لا يذكر . . . وهكذا .

ثالثا : أسباب التسويف :

والأسباب أو البواعث التى توقع فى التسويف كثيرة نذكر منها :

١ ـ الأسرة التى تبنى حياتها على التسويف أو تدليل الأولاد :

إذ قد ينشأ المسلم فى أسرة بنت حياتها على التسويف ، فالأب ، والأم ، والأجداد ، والإخوة الكبار غارقون من مفرق رؤوسهم إلى أخمص أقدامهم فى

الأخطاء، ويعدون بالتغيير ولا تغيير، ولهم أمانى طويلة ، وعريضة ، ولا تنفذ ولا تطبق ، وقد تبنى الأسرة حياتها على تدليل الأولاد القائم على الحنو والشفقة المجاوزين للحد ، فيندفع الابن إلى أداء المعروف محاكاة للكبار، فتمنعه الأسرة من أداء هذا المعروف بحجة صغره وعدم إطاقته ، وتعده بإفساح المجال له فى المستقبل، ويتكرر ذلك فى كل مرة ، حتى يرث هذا الابن خلق التسويف .

ولعلنا فى ضوء هذا السبب نفهم السر فى تأكيده ﷺ على ضرورة الوفاء للأولاد إذا تم وعدهم بشىء ، وإلا كان ذلك تعويداً للأولاد على الكذب ، نظرًا لأنه تسويف والتسويف أوسع أبواب الكذب ، إذ يقول عبد الله بن عامر: دعتنى أمى يومًا ، ورسول الله ﷺ قاعد فى بيتنا ، فقالت: ها تعال أعطيك، فقال لها رسول الله ﷺ : « وما أردت أن تعطيه ؟ » ، قالت : أعطيه تمرًا ، فقال لها رسول الله ﷺ : « أما إنك لو لم تعطيه شيئًا ، كتبت عليك كذبة » [(١)] .

كما نفهم فى ضوء هذا السبب أيضًا حزم الأنصار مع أولادهم دفعًا لهم إلى المبادرة بفعل المعروف، وقطع الطريق على التسويف وخصوصًا فى تعويدهم على الصوم منذ نعومة أظفارهم ، إذ تقول الربيع بنت معوذ : أرسل النبى ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: «من أصبح مفطرًا فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائمًا فليصم»، قالت: فكنا نصومه بعد ، ونصوّم صبياننا ، ونجعل لهم اللعبة من العهن [(٢)] ، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار [(٣)] ، وفى رواية : فإذا سألونا الطعام أعطيناهم اللعبة تلهيهم حتى يتمُّوا صومهم [(٤)] .

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الأدب : باب فى التشديد فى الكذب ٤/٢٩٨ رقم (٤٩٩١) قال : حدثنا قتيبة ، حدثنا الليث عن ابن عجلان ، أن رجلا من موالى عبد الله بن عامر بن ربيعة العدوى حدثه ، عن عبد الله بن عامر ، وساق الحديث ، وأحمد فى : المسند ٣/٤٤٧ بنفس الإسناد ، ومولى عبد الله مجهول .

(٢) العهن هنا : هو الصوف الملون ، انظر : النهاية فى غريب الحديث والأثر ٣/١٤٢ .

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الصوم : باب صوم الصبيان ٣/٤٨، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الصيام : باب من أكل فى عاشوراء فليكف بقية يومه ٢/٧٩٨، ٧٩٩ رقم (١١٣٦) كلاهما من حديث الربيع بنت معوِّذ رضي الله عنها مرفوعًا به وبنحوه.

(٤) هذه الرواية أخرجها مسلم فى : الصحيح : كتاب الصيام : باب من أكل فى عاشوراء فليكف بقية يومه ٢/٩٩٧ رقم (١١٣٦) من حديث خالد بن ذكوان عن الربيع بنت معوّذ بهذا اللفظ .

وعن رزينة أن النبى ﷺ كان يأمر مرضعاته فى عاشوراء ، ورضعاء فاطمة ، فيتفل فى أفواههم ويأمر أمهاتهم ألا يرضعن إلى الليل[١] .

٢ ـ صحبة الكسالى والمسوِّفين :

وقد تكون صحبة الكسالى ، والمسوِّفين هى السبب فى التسويف ، ولاسيما إذا كانت هذه الصحبة قبل إيجاد الحصانة التى تحول دون انتقال عدوى الكسل والتسويف .

ولعل هذا هو السر فى تأكيد الإسلام على الصحبة الطيبة، ونبذ ما عداها، إذ جاء فى الحديث قوله ﷺ: « لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقى »[٢] .

٣ ـ ضعف الإرادة أو الكسل والتراخى مع النفس :

وقد يكون ضعف الإرادة، وفتور العزيمة، ونزول الهمة، أو الكسل والتراخى مع النفس سببًا من الأسباب التى تؤدى إلى التسويف، فمثلا بينما الواجب ينادى المسلم ويلح عليه إذ يدعوه ضعف الإرادة وفتور العزيمة ، ونزول الهمة ، أو الكسل والتراخى مع النفس إلى القعود عن أداء هذا الواجب بحجة أن فى الغد فسحة أو فرصة .

ولعلنا فى ضوء هذا السبب نفهم استعاذته ﷺ الدائمة من العجز والكسل، إذ كان كثيرًا ما يدعو فى الصباح والمساء بهذا الدعاء : « اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن ، والهرم . . . »[٣] ، وفى رواية ثانية : « اللهم إنى أعوذ بك من

---

(١) الحديث أورده الحافظ ابن حجر فى : فتح البارى شرح صحيح البخارى ٤/ ٢٠١، وعزاه إلى ابن خزيمة فى : صحيحه ، قائلا : « وأخرجه ابن خزيمة فى صحيحه ، وتوقف فى صحته ». ثم عقب عليه بقوله : « إسناده لا بأس به » .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الأدب : باب من يؤمر أن يجالس ٤/ ٢٥٩، رقم (٤٨٣٢)، والترمذى فى : السنن : كتاب الزهد : باب ما جاء فى صحبة المؤمن ٤/ ٥١٩ رقم (٢٣٩٥) كلاهما من حديث أبى سعيد الخدرى مرفوعًا بهذا اللفظ ، وعقب الترمذى عليه بقوله : « هذا حديث حسن إنما نعرفه من هذا الوجه » .

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الجهاد : باب ما يتعوذ من الجبن ٤/ ٢٨، وكتاب التفسير : سورة النحل : باب قوله تعالى : ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ ﴾ ٦/ ١٠٣، وكتاب الدعوات : باب التعوذ من فتنة المحيا والممات ٨/ ٩٨، وباب التعوذ من أرذل العمر ٨/ ٩٩، من حديث أنس بن مالك مرفوعًا بهذا اللفظ وبنحوه، وباب التعوذ من المأثم والمغرم ٨/ ٩٨ من حديث عائشة مرفوعًا بنحوه، ومسلم فى: الصحيح: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار : باب التعوذ من العجز والكسل وغيره ٤/ ٢٠٧٩ ، ٢٠٨٠ رقم (٢٧٠٦) من حديث أنس بن مالك مرفوعًا ، وباب التعوذ من شر ما عمل ، ومن شر ما لم يعمل ٤/ ٢٠٨٨ رقم (٢٧٢٢) من حديث زيد بن أرقم مرفوعًا بنحوه ، وأبو داود فى : السنن : كتاب الصلاة : باب فى الاستعاذة ٢/ ٩٠ رقم (١٥٤٠) من حديث أنس بن مالك مرفوعًا به وبنحوه، والترمذى فى: السنن: كتاب الدعوات: باب منه ٥/ ٤٨٦ رقم (٣٤٨٤) من حديث عمرو بن =

الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضلع الدين، وغلبة الرجال »[١]، وفى رواية ثالثة: «اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال »[٢].

٤ ـ أمن مكر الله :

وقد يكون أمن مكر الله سببًا من الأسباب التى توقع فى التسويف ، إذ الإنسان مجبول على المبادرة والإسراع بأداء ما يطلب منه عندما يخاف ، وعلى التوانى والتفريط إذا أمن ، ولقد أشار رب العزة إلى هذا السبب عند حديثه عن الكفار ومضيِّهم فى كفرهم وباطلهم ، فقال سبحانه : ﴿ **أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾** ﴾ [الاعراف]، ﴿ **أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾** ﴾ [الملك]، ﴿**أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ**

= أبى عمرو مولى المطلب عن أنس بن مالك مرفوعًا ، وعقب عليه بقوله: « هذا حديث غريب من هذا الوجه، من حديث عمرو بن أبى عمرو » ، ورقم (٣٤٨٥) من حديث أنس أيضًا ، وعقب عليه بقوله : « هذ حديث حسن صحيح » ، والنسائى فى : السنن الكبرى : كتاب الاستعاذة : باب الاستعاذة من البخل، وباب الاستعاذة من الهمِّ، وباب الاستعاذة من الحزن، وباب الاستعاذة من الكسل، وباب الاستعاذة من العجز ٤/٤٤٧ ـ ٤٥٠ رقم (٧٨٨١، ٧٨٨٤ ـ ٧٨٨٨، ٧٨٩٠، ٧٨٩٢، ٧٨٩٤) من حديث أنس بن مالك مرفوعًا به، وبنحوه، وابن ماجه فى: السنن: كتاب الدعاء: باب ما تعوَّذ منه رسول الله ﷺ ٢/ ١٢٦٢ رقم (٣٨٣٨) من حديث عائشة مرفوعًا بنحوه، وأحمد فى: المسند ٣/ ١١٣، ١١٧، ١٢٢، ٢٠١، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢١٤، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٦٤، من حديث أنس بن مالك مرفوعًا به، وبنحوه ٤/ ٣٧١ من حديث زيد بن أرقم مرفوعًا بنحوه .

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الدعوات: باب التعوذ من غلبة الرجال ٨/ ٩٦، ٩٧ من حديث أنس بن مالك مرفوعًا بهذا اللفظ ، وباب الاستعاذة من الجبن والكسل ٨/ ٩٨ من حديث عائشة مرفوعًا ، وأبو داود فى : السنن : كتاب الصلاة : باب فى الاستعاذة ٢/ ٩٠ رقم (١٥٤١)، وكتاب الحروف والقراءات : باب منه ٤/ ٣١ رقم (٣٩٧٢) من حديث أنس بلفظه ، وبنحوه ، مطولا ، ومختصرًا ، والترمذى فى : السنن : كتاب الدعوات : باب منه ٥/ ٤٨٦ رقم (٣٤٨٤)، وقد تقدمت الإشارة إليه فى الحديث الذى قبله ، والنسائى فى : السنن الكبرى : كتاب الاستعاذة : باب الاستعاذة من الحزن ٤/ ٤٤٩ رقم (٧٨٩٠) من حديث أنس مرفوعًا به ، وأحمد فى : المسند ٣/ ١٥٩، ٢٢٠، ٢٢٦، ٢٤٠ من حديث أنس بن مالك مرفوعًا .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الصلاة : باب فى الاستعاذة ٢/ ٩٣ رقم (١٥٥٥) من حديث أبى سعيد الخدرى ، عن أبى أمامة ـ رجل من الأنصار ـ فى قصة طويلة مشهورة أن النبى ﷺ قال له : « قل إذا أصبحت وإذا أمسيت : اللهم . . . » الحديث ، إلا أن فى إسناده غسان بن عوف وهو بصرى وقد ضعف .

غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٠٧) ﴾ [يوسف]، ﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً (٦٨) أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا (٦٩) ﴾ [الإسراء].

٥ ـ طول الأمل مع نسيان الموت والدار الآخرة :

وقد يكون طول الأمل مع نسيان الموت والدار الآخرة من الأسباب التى تؤدى إلى التسويف .

يقول الإمام أبو حامد الغزالى فى تصوير هذا السبب : « اعلم أن من له أخوان غائبان، وينتظر قدوم أحدهما فى غدٍ ، وينتظر الآخر بعد شهر أو سنة ، فلا يستعد للذى يقدم إلى شهر أو سنة ، وإنما يستعد للذى ينتظر قدومه غدًا ، فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار ، فمن انتظر مجىء الموت بعد سنة ، اشتغل بالمدة ، ونسى ما وراء المدة، ثم يصبح كل يوم ، وهو منتظر للسنة بكمالها ، لا ينقص منها اليوم الذى مضى وذلك يمنعه من مبادرة العمل أبدًا ، فإنه أبدًا يرى لنفسه متسعًا فى تلك السنة ، فيؤخر العمل »(١).

ويقول الحافظ ابن الجوزى فى تصوير نفس السبب : « يجب على من لا يدرى متى يبغته الموت أن يكون مستعدًا ، ولا يغتر بالشباب ، والصحة ، فإن أقل من يموت الأشياخ ، وأكثر من يموت الشبان ، ولهذا يندر من يكبر ، وقد أنشدوا :

يُعَمَّر واحد ، فَيَغُرُّ قومًا ويُنْسَى من يموت من الشباب

ومن الاغترار طول الأمل ، وما من آفة أعظم منه ، فإنه لولا طول الأمل ما وقع إهمال أصلا ، وإنما يقدم المعاصى ، ويؤخر التوبة لطول الأمل ، وتبادر الشهوات ، وتنسى الإنابة لطول الأمل » (٢) .

ولعل هذا السبب يفسر لنا تحذيره ﷺ من طول الأمل ، والركون إلى الدنيا ، والغفلة عن الآخرة ، فقد خط ﷺ خطا مربعًا ، وخط خطا فى الوسط خارجًا منه ، وخط خططًا صغارًا إلى هذا الذى فى الوسط من جانبه الذى فى الوسط ، وقال : «هذا الإنسان ، وهذا أجله محيط به ، أو قد أحاط به ، وهذا الذى هو خارج أمله،

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين للغزالى ٤/ ٣٩١ ، وعنه نقل خلدون الأحدب فى : سوانح وتأملات فى قيمة الزمن ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٢) انظر : صيد الخاطر لابن الجوزى ص ١٧٨، ١٧٩ .

وهذه الخطط الصغار الأعراض[١] ، فإن أخطأه هذا نهشه هذا ، وإن أخطأه هذا نهشه هذا »[٢] .

٦ ـ الاستهانة بالأمر مع اعتماد المرء على بعض ما وهبه الله من حول وقوة :

وقد تكون الاستهانة بالأمر مع اعتماد المرء على بعض ما وهبه الله من حول وقوة هى السبب فى التسويف .

ولعل خير ما يشرح هذا السبب ويجليه، قصة كعب بن مالك ﷺ وتخلفه عن غزوة تبوك ، إذ يحكى عن نفسه ، فيقول : « . . . كان من خبرى أنى لم أكن قط أقوى ، ولا أيسر حين تخلفت عنه فى تلك الغزاة ، والله ما اجتمعت عندى قبله راحلتان قط ، حتى جمعتهما فى تلك الغزوة ، ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة، غزاها رسول الله ﷺ فى حرّ شديد ، واستقبل سفراً بعيداً ، ومغازاً ، وعدوا كثيراً ، فجلى للمسلمين أمرهم ، ليتأهبوا أهبة غزوهم ، فأخبرهم بوجهه الذى يريد، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ ـ يريد الديوان ـ قال كعب : فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفى له ، ما لم ينزل فيه وحى الله، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار، والظلال ، وتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه ، فطفقت أغدو لكى أتجهز معهم ، فأرجع ولم أقض شيئًا ، فأقول فى نفسى أنا قادر عليه ، فلم يزل يتمادى بى، حتى اشتد بالناس الجد ، فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه، ولم أقض من جهازى شيئًا ، فقلت : أتجهز بعده بيوم ، أو يومين، ثم ألحقهم فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز ، فرجعت ولم أقض شيئًا ثم غدوت ، ثم رجعت ، ولم أقض شيئًا ، فلم يزل بى حتى أسرعوا وتفارط الغزو وهممت أن أرتحل فأدركهم ـ وليتنى فعلت ـ فلم يُقدر لى ذلك »[٣] .

---

(١) الأعراض: هى الآفات العارضة للإنسان، بحيث إذا سلم من آفة لم يسلم من الأخرى، وإن سلم من الجميع لم يسلم من مباغتة الأجل أو الموت ، انظر : فتح البارى لابن حجر ١١/ ٢٣٨.

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الرقاق : باب الأمل وطوله ٨/ ١١٠، ١١١، والترمذى فى : السنن : كتاب القيامة : باب منه ٤/ ٥٤٨ رقم (٢٤٥٤)، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الزهد : باب الأمل والأجل ٢/ ١٤١٤ رقم (٤٢٣١)، والدارمى فى : السنن : كتاب الرقاق : باب فى الأمل والأجل ٢/ ٣٠٤ ، وأحمد فى : المسند ١/ ٣٨٥ كلهم من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعًا ، واللفظ للبخارى ، وعقب الترمذى على روايته قائلا : « هذا حديث صحيح » .

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الجهاد : باب من أراد غزوة فورّى بغيرها ٤/ ٥٨، ٥٩، وكتاب المغازى : باب غزوة تبوك ٥/ ٣ ـ ٩، ومسلم فى: الصحيح: كتاب التوبة : باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه ٤/ ٢١٢٠ ـ ٢١٢٩ رقم (٢٧٦٩)، وأبو داود فى : السنن : كتاب الجهاد: باب المكر فى الحرب ٣/ ٤٣ رقم (٢٦٣٧)، والدارمى فى: السنن : كتاب السير : باب فى الحرب خدعة ٢/ ٦٦٧ رقم (٢٣٥٩) كلهم من حديث كعب بن مالك ﷺ مطولا ومختصراً .

٧ ـ التعويل على عفو الله ومغفرته مع نسيان شدة أخذه وعقابه :

وقد يكون التعويل على عفو الله ، ومغفرته ، مع نسيان شدة أخذه سبحانه ، وعقابه ، هو السبب فى الوقوع فى آفة التسويف ، وقد سبق الحافظ ابن الجوزى إلى هذا السبب ، فقال ـ بعد أن ذكر سببين للتسويف :

(. . . والثالث: رجاء الرحمة، فيرى العاصى يقول: ربى رحيم وينسى أنه شديد العقاب ، ولو علم أن رحمته ليست رقة ، إذ لو كانت كذلك لما ذبح عصفور، ولا آلم طفلا، وعقابه غير مأمون، فإنه شرع قطع اليد الشريفة بسرقة خمسة قراريط)[١] .

٨ ـ عدم المتابعة والمحاسبة من الآخرين :

وقد يكون السبب فى التسويف إنما هو عدم المتابعة والمحاسبة من الآخرين ، ذلك أن المسلمين بعضهم أولياء بعض ، ومقتضى هذه الولاية أن ينصح بعضهم بعضًا ، وأن يتابع بعضهم بعضًا بل أن يحاسب بعضهم بعضًا ، وهذا هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر المشار إليهما فى قوله سبحانه : ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾ [التوبة : ٧١] .

وعندما تغيب هذه الولاية من حياة المسلمين، فلا تكون متابعة ، ولا محاسبة، يتجرأ الناس على الإهمال ويقع التسويف .

٩ ـ الانغماس فى المعاصى والسيئات :

وقد يكون الانغماس فى المعاصى والسيئات إنما هو السبب فى التسويف، ذلك أن كثرة المعاصى والسيئات ، تقسى القلب ، وتهون من شأن هذه المعاصى ، وتلك السيئات ، الأمر الذى يمكن أن يؤدى إلى الإهمال ، والوقوع فى التسويف .

ولقد ألمح إلى ذلك رسول اللهﷺ عندما قال : « . . . وإن الفاجر يرى ذنوبه، كذباب مر على أنفه فقال به هكذا »[٢] .

١٠ ـ عدم تقدير العواقب والآثار المترتبة على التسويف :

وأخيرًا ، قد يكون عدم تقدير العواقب والآثار المترتبة على التسويف إنما هو السبب

---

(١) انظر : صيد الخاطر لابن الجوزى ص ٣٠٤ .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الدعوات : باب التوبة ٨/ ٨٣ ، ٨٤ ، والترمذى فى : السنن : كتاب صفة القيامة : باب منه ٤/ ٥٦٨ رقم (٢٤٩٧) ، وأحمد فى : المسند ١/ ٣٨٣. كلهم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه به .

فى الوقوع فى هذا التسويف ، ذلك أن الإنسان مجبول على تأخير الشىء ، والتوانى فيه ، إذا لم يقدر عواقبه الوخيمة ، وآثاره السيئة ، ولعل ذلك من بين الأسباب التى أدت إلى أن تكون أكثر أحكام ديننا الحنيف معللة مقرونة بحكمة التشريع .

رابعًا : آثار التسويف :

وللتسويف آثار ضارة ، وعواقب وخيمة ، سواء على العاملين ، أو على العمل الإسلامى ، ودونك طرفًا من هذه الآثار ، وتلك العواقب :

أ ـ على العاملين :

أما آثار التسويف على العاملين فكثيرة ، نذكر منها :

١ ـ الحسرة والندم فى وقت لا تنفع فيه الحسرة والندم :

ذلك أن المسوف يقضى دهره متعديًا على حدود الله ، مفرطًا فى جنبه حتى إذا جاءه الموت ، وكشف عنه الغطاء ، وعاين الأمور على حقيقتها يتحسر ويندم ، ويتمنى التأخير ، أو الرجعة إلى الدنيا ليتدارك أمره ، وأنى له ذلك ، وقد ضاعت منه الفرصة وفات الأوان ، يقول تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [المؤمنون] ، ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المنافقون] ، ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنعام] .

٢ ـ الحرمان من الأجر والثواب :

وهو كذلك بتعديه على حدود الله ، وتفريطه فى جنبه سبحانه حرم نفسه من كثير من الأجر والثواب ، وما قيمة الإنسان غدًا إذا لقى ربه بغير أجر ولا مثوبة ، إن قيمته إذن أن يكون من أصحاب الجحيم ، وتلك هى الخسارة الحقيقية ، وصدق الله الذى يقول : ﴿ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ [الزمر] ، ﴿ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الشورى] .

٣ ـ تراكم الذنوب ، وصعوبة التوبة :

والتسويف يؤدى إلى تراكم الذنوب ، وإذا تراكمت الذنوب ثقلت على المرء ، وحار حيرةً شديدة ، بأيها يبدأ ، وبأيها ينتهى ، الأمر الذى يؤول به إلى استثقال التوبة وصعوبتها وواقع العصاة والمذنبين فى كل عصر ومصر خير شاهد على ذلك.

٤ ـ تراكم الأعمال ، وصعوبة الأداء :

وقد يؤدى التسويف إلى تراكم الأعمال ، وتزاحم الأعباء ، فلا يدرى المرء أيها يقدم ، وأيها يؤخر ، ومن ثم يتشتت فكره ويضيع سعيه ، ويصبح أمره فرطًا ، ولا يمكن أن ينجز واجبًا من الواجبات .

٥ ـ ضياع الهيبة ، وعدم القدرة على التأثير فى الناس :

وهو بتعديه على حدود الله ، وتفريطه فى جنبه سبحانه وعدم قيامه بواجبه نحو ربه ، ونحو نفسه ، وذويه ، ونحو أمته ، تضيع هيبته من صدور الناس ، ولا يتمكن من إتقان أى عمل من الأعمال ، الأمر الذى يفقده القدرة على التأثير فى الناس ، وإذا ضاعت هيبة المسلم من صدور الناس فقد القدرة على التأثير فيهم ، واستوى معهم ، وكيف يستوى معهم ، والمفروض أنه إمامهم ، ورائدهم كما قال سبحانه :

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣]، ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [الحج : ٧٨] .

ب ـ على العمل الإسلامى :

وأما آثار التسويف على العمل الإسلامى فكثيرة أيضًا ، ونذكر منها :

١ ـ تطويق العمل الإسلامى :

الأمر الذى يؤدى إلى طول الطريق وكثرة التكاليف ، ذلك أن التسويف ينتهى بأصحابه إلى ضياع الهيبة ، وفقدان عنصر التأثير فى الناس كما قدمنا، الأمر الذى يطمع العدو ، ويقلل من الأنصار ، وبذلك يسهل تطويق هذا العمل ، وتكثر التكاليف وتطول الطريق .

٢ ـ الحرمان من العون والمدد الإلهى :

وذلك أن من سنته سبحانه فى خلقه أنه لا يمنحهم عونه ولا مدده وهم مسوفون،

متعدون على حدود الله ، مفرطون فى جنبه سبحانه ، وإذا حرم العمل الإسلامى عونه ومدده سبحانه ، فعلى هذا العمل السلام ، ولن يصل إلى مبتغاه ، وإن تعلق بأسباب السماء .

خامسًا : علاج التسويف :

وما دمنا قد وقفنا على ماهية ومظاهر وأسباب وآثار التسويف ، فإنه يسهل علينا الآن أن نسعى نحو العلاج ، والوقاية ، بل أن نصف هذا العلاج وهذه الوقاية، وذلك على النحو التالى :

١ ـ أخذ النفس بالحزم ، وقوة العزيمة ، ولأن تتعب النفس اليوم لتستريح غدًا، خير لها من أن تستريح اليوم ، وتتعب غدًا ، وأيضًا لأن مكر الله غير مأمون، والموت يأتى بغتة، وإذا لم يأت بغتة فإنه يسبقه المرض، ثم يكون الموت ، وهو سبحانه يقول : ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الزمر] .

٢ ـ تذكير النفس دومًا بأن التسويف عجز وضعف ، وخور ، وليس من سمات المسلم العجز، والضعف، والخور، بل إن الإنسان إذا كان معتزًا بإنسانيته فإنه يأبى عليها هذه الأوصاف، وإن مثل هذا التذكير إن كان صادقًا، وانفعلت به النفس، فإنه سيقودها حتمًا إلى التشمير، والمسارعة بترك المحظور والمكروه، وفعل المأمور والمحبوب، ورضى الله عن سيدنا عمر حين قال : « من القوة ألا تؤخر عمل اليوم إلى الغد » (١) .

٣ ـ دوام الدعاء والضراعة إلى الله ـ عز وجل ـ بالتحرر من العجز والكسل على نحو ما قدمنا فى دعاء وضراعة النبى ﷺ فى الصباح والمساء ، فإن الدعاء هو العبادة ، وهو سبحانه يقول : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر]، ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة] .

---

(١) الخبر سبق تخريجه فى الجزء الأول ، آفة : « التفريط فى عمل اليوم والليلة » .

٤ ـ أن تأخذ البيوت نفسها بالحزم والعزم حتى لا تفسد الناشئة من الأولاد ، وعلى الأولاد من جانب آخر أن يشبوا على تعلم وتعاليم الكتاب والسنة ، وأن يزنوا كل تصرف بهما، فما وافقهما فهو الحق ، وعليهم اتباعه، وما خالفهما فهو الباطل ، وعليهم اجتنابه .

٥ ـ الانسلاخ من صحبة الكسالى ، والمسوفين ، والارتماء بين يدى ذوى الحزم، والعزم ، والقوة ، فإن ذلك من شأنه أن يحمل على مجاهدة النفس وأخذها بالحزم ، والعزم ، والقوة .

٦ ـ دوام معايشة الكتاب والسنة ، فإن هذه المعايشة تكون سببًا فى معرفة الله حق المعرفة، وإذا عرف المسلم ربه حق المعرفة قضى عمره، وكأنما يمشى على الجمر، بحيث لا تمر عليه لحظة إلا وهو فيها مؤدى ما عليه ، مستعد للقاء الله ـ عز وجل .

٧ ـ الاحتراز من المعاصى والسيئات بألا يقع فيها المسلم أصلا ، وإن وقع بادر بالتوبة ، فإن أكثر التسويف مبعثه الانغماس فى المعاصى والسيئات على النحو الذى ذكرنا فى الأسباب ، بل ويشفع ذلك بمزيد من الطاعات : فرائض ، ونوافل حتى تلين الجلود ، والجوارح ، وترق القلوب بذكر الله ، فتنشط النفس من عقالها ، وتتخلص من التسويف .

٨ ـ تذكر الموت والدار الآخرة على الدوام ، فإن مثل هذا التذكر مما يقلل عمر الدنيا فى نظر المسلم ، ويهوِّن من شأن زخرفها ، وزهرتها ، وزينتها ، ويحمله على المبادرة بالتوبة ، وأداء الحقوق لذويها ، وإن ثقل الحمل، وعظمت التكاليف .

٩ ـ معايشة السلف فى نظرتهم إلى التسويف، ونفورهم منه نفوراً شديداً قولا، وفعلا ، فكرًا ، وسلوكًا ، وسبق قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : « من القوة ألا تؤخر عمل اليوم إلى الغد » [1] .

وهذا عمر بن عبد العزيز ﷺ وقد فرغ من دفن سليمان بن عبد الملك الخليفة الذى كان قبله ، وانتهى من الخطبة التى افتتح بها حكمه بعد أن بايعه الناس ، ينزل عن المنبر ويتجه إلى بيته ، ويأوى إلى حجرته يبتغى أن يصيب ساعة من الراحة بعد هذا الجهد ، وذلك العناء اللذين كان فيهما منذ وفاة الخليفة سليمان بن عبد الملك .

---

(١) الخبر سبق تخريجه فى الجزء الأول ، آفة : « التفريط فى عمل اليوم والليلة » .

وما يكاد يسلم جنبه إلى مضجعه حتى يقبل عليه ولده عبد الملك ـ وكان يومئذ يتجه نحو السابعة عشرة من عمره ـ ويقول له : ماذا تريد أن تصنع يا أمير المؤمنين ؟ فقال : يا بنى، أريد أن أغفو قليلا ، فلم تبق فى جسدى طاقة، فقال : أتغفو قبل أن ترد المظالم إلى أهلها يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أى بنى ، إنى قد سهرت البارحة فى عمك سليمان، وإنى إذا حان الظهر صليت فى الناس، ورددت المظالم إلى أهلها إن شاء الله ، فقال : ومن لك يا أمير المؤمنين بأن تعيش إلى الظهر ؟ فألهبت هذه الكلمة عزيمة عمر ، وأطارت النوم من عينيه وبعثت القوة والعزم فى جسده المتعب ، وقال : ادن منى أى بنى ، فدنا منه ، فضمه إليه ، وقبل ما بين عينيه ، وقال : الحمد لله الذى أخرج من صلبى ، من يعيننى على دينى ، ثم قام ، وأمر أن ينادى فى الناس: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها [١] .

وقال لقمان لابنه : يا بنى ، لا تؤخر التوبة ، فإن الموت يأتى بغتة ، ومن ترك المبادرة إلى التوبة بالتسويف ، كان بين خطرين عظيمين ، أحدهما : أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصى ، حتى يصير رينًا وطبعًا فلا يقبل المحو ، الثانى : أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو [٢] .

وعن أبى إسحاق قال : قيل لرجل من عبد القيس فى مرضه : أوصنا قال: أنذرتكم سوف [٣] .

وأوصى ثمامة بن بجاد السلمى قومه ، فقال : أى قوم ، أنذرتكم سوف أعمل ، سوف أصلى ، سوف أصوم [٤] .

ويقول الحسن البصرى رضي الله عنه إياك والتسويف ، فإنك بيومك ، ولست بغدك ، قال : فإن يكن غد لك ، فَكِسْ فيه ـ أى اعمل عملا تكون به كَيِّسًا ـ كما كِسْت فى اليوم، وإلا يكن الغد لك،لم تندم على ما فرطت فى اليوم [٥] .

وقال المنذر : سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه: ويحك ، بادرى قبل أن يأتيك، ويحك بادرى قبل أن يأتيك الأمر. حتى كرر ذلك ستين مرة أسمعه، ولا يرانى [٦] .

---

(١) انظر : صور من حياة التابعين للدكتور عبد الرحمن الباشا ١/ ١٣٨ ـ ١٤٤ بتصرف .

(٢) انظر : إحياء علوم الدين للغزالى ٤/ ١٢ .

(٣) الأثر أخرجه ابن المبارك فى : الزهد : باب التحضيض على طاعة الله ـ عز وجل ـ ص ٥ بهذا اللفظ .

(٤) الأثر أخرجه ابن المبارك فى : الزهد ص ٥ بهذا اللفظ .

(٥) الأثر أخرجه ابن المبارك فى : الزهد ص ٤ بهذا اللفظ .

(٦) انظر: إحياء علوم الدين للغزالى ٤/ ٣٩٢، وعنه نقل خلدون الأحدب فى: سوانح وتأملات ص ٤٨ .

واجتهد سيدنا أبو موسى الأشعرى ﷺ قبل موته ، اجتهادًا شديدًا ، فقيل له : لو أمسكت ، أو رفقت بنفسك بعض الرفق ، فقال : إن الخيل إذا أرسلت فقاربت رأس مجراها ، أخرجت جميع ما عندها ، والذى بقى من أجلى أقل من ذلك ، قال : فلم يزل حتى مات [١] .

١٠ ـ أن تقوم الأمَّة كلها على المستوى القيادى ، وغير القيادى ، فى متابعة ومحاسبة المسوفين ، فإن هذه المتابعة ، وتلك المحاسبة ، تقطع الطريق على النفس، وتحول بينها وبين التسويف، وهذا من حق الأمة على بعضها البعض وصدق الله العظيم : ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** ﴾ [التوبة: ٧١] .

١١ ـ عدم الاستهانة بأى أمر من الأمور ، وإن كان هذا الأمر بسيطًا ، واليقين بأن الأمر كله لله ، والفرصة التى فى يدك الآن قد تضيع منك غدًا .

١٢ ـ التذكير الدائب بالعواقب والآثار المترتبة على التسويف ، فإن هذا التذكير من شأنه أن يشحذ الهمم ، والعزائم ، وأن يقضى على التسويف عند من كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد .

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين للغزالى ٤/ ٣٩٢، وعنه نقل خلدون الأحدب فى: سوانح وتأملات ص ٤٨ .